

المشرق

الخوري بطرس التولوي الفيلسوف الشهير

لحظة الكاتب الفاضل القس جرجس منش الماروني

بلغ هذا الفيلسوف من ترامي الذكر وبعد الشهرة في العالم والفضل ما يبلغه اربابها من الطبقة الاولى. ورزق من الحظ والاقبال ما لم يُرزقه غيره من الرجال المشاهير في اواخر القرن السابع عشر واول الثامن عشر ولم يكن من الوطنيين بل من المستوطنين فاذا كانت الوطنية تُكتسب بمدة متعارفة بين اربابها فانه قد قضى ما يربو على نصف قرن في حلب الشهباء فلا بأس ان يُعدّ حليّ التجار متابعاً لصاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية ولما كان ممن خدم الوطن العزيز الخدمة الجليلة التي لا ينقطع برؤها ولا ينقضي فخرها رأيت ان اجيب ملتصق البعض واقوم بالواجب المفروض فانشر ما وقع الي من ترجمة حاله اذاعةً لحامده واشهاراً لفضائله وتعريفاً بمنزلته من العالم والفضل فاقول:

*

هو عبد الله بن بطرس بن اسحق التولوي البتروني الماروني الشهير (١) ولد في قرية تولان من عمل البترون في اواسط الدهر السابع عشر من والدين تقيين اعتنوا بتربيته احسن عناية على ما اشتهر به سكّنة لبنان من التقى وحسن التدبّر ومذ مبطت عنه التأمم أجلس للتعليم عند خوري القرية وعُني والده بتثيفه فأيد العناية به قوة في فطرته واشراق في قريحته وذكا في مداركه فاخذ في قراءة اللغة

(١) ورد نسبة في مقدمة تأملاته هكذا: «الخوري عبد الله بطرس بن بطرس بن اسحق الماروني نجاره التولوي وجاره تزيل حلب ونذير رعيها واب الملة المارونية واكنونوس بيعتها الخ». فعلمت انه سمي في العمودية (عبد الله) وفي الكهنوت (بطرس) فقبّر

السريانية التي كان اللبناييون في انصاب على تحصيلها دون ما سواها حتى تلك
الاعصر الاخيرة



سيمان التوليّ الراهب الانطونيّ تلميذ مدرسة رومية في القرن السابع عشر (١)

ولما تبين للمثلث الرحمة البطريك جرجس البسبعلي ما كان عليه القتي من سمو
المدارك ارسله سنة ١٦٦٨ الى المدرسة المارونية التي كان يديرها الآباء اليسوعيين
برومة العظمى غير متجاوز الحادية عشرة من العمر فاخذ من بدايات العلوم ولم يقف
دون نهاياتها فدرس اللغات السريانية والايطالية واللاتينية والعبرانية واليونانية الى غيرها
من العلوم اللسانية والبيانية وتلقى المنطق والفصاحة والخطابة والفلسفة والطبيعات
والالهيات والحق القانوني واللاهوت النظري والادبي والتاريخ الخاص العام وما مثلها
من العلوم العقلية العالية فاطهر من الخدق والنجاسة والبراعة ما حبه الى كل اساتذته

(١) اخذنا هذا الرسم عن كتاب اليوبيل المئوي لانشاء المدرسة المارونية طبع في رومية سنة
١٦٨٥. فيكون من ثم سيمان التوليّ وهو ايضاً يدعى بطرس معاصراً لصاحب الترجمة وسميه
ولعله هو او يكون احد انسابه درس معه في المدرسة المارونية ثم ترهب لكننا لم نطلع على شيء
من اخباره في تواريخ الموارنة وقد اثبتنا صورته صوتاً لها من الضياع (المشرق)

فاعترفوا له بالزنية والاسبقية ثم قتل بعد اربع عشرة سنة عائداً الى لبنان محرراً شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت

وما كاد ينتهي الى موطنه لبنان في عام ١٦٨٢ حتى رقاؤه العلامة الطيب الذكر البطريرك اسطفانس الدويهي الشهير الى مقام الكهنوت على دير قنوبين مركز بطاركة الموارنة المعبوتين فظهر الكاهن الجديد كاملاً في صفاته فاضلاً في اعماله غيوراً على خلاص النفوس فازداد اعتباراً في عين مسرديه واصحابه

وفي سنة ١٦٨٥ بعث به البطريرك الأنث الذكر الى حلب الشهباء لخدمة شعبها الماروني وقلده وظيفة الوعظ والارشاد والتعالم والتثقيف فاقبل على خدمة النفوس بغيره لا تعرف الملل وسعى وراء مهام وظيفته بنهضة لا تدري الكلل فاجمع الجميع على ولائه واجلاله

فكافأه المثلث الرحمة السيد جبرائيل البلوزاوي مطران حاب (١) بان سامه في عام ١٦٩٨ خورياً برودوطاً (٢) وعهد اليه بالرئاسة على الكهنة والشعب فضاعفت الوظيفة فيه العناية بامر الكنيسة والاهتمام بشؤون الشعب والمراقبة لذنوب المومنين وتقبيدهم بالقانون والنظام والضبط للاكليس قيد واجباتهم

*

ما كاد الحوري بطرس يتولّى منصبه الجديد حتى جعل يفرغ اقصى ما لديه من الغيرة في سبيل خير الرعية فقال فيه بعض معاصريه: «كان الحوري بطرس التولاوي في حلب نائباً عن مطرانها ورئيساً على كهنتها الذين كان مطراننا المذكور يرسلهم لخدمة الرعية او الرعية تتخارهم...» واما الحوري فقدّم له الاعتبار من كل الطوائف حتى لقب بكوكب الشرق لاجل علمه وعمله (٣). وحسبك بها شهادة تنبئك بما صرفه من المهمة الناهضة الى ما يعود على الخلق بالمنافع العميمة. والحق يقال انه نهض باعباء وظيفته السامية نيقاً وعشرين سنة باذلاً ما لا مزيد عليه من المهمة والنشاط في اصلاح شؤون ملته المادية والادبية

(١) أقيم مطراناً على حلب سنة ١٦٩٣ وارتنق الى مقام البطريركية سنة ١٧٠٤ وقضى نجبة سنة ١٧٠٥ (انظر ص ٢٦٢ من سنة المشرق الاولى)

(٢) راجع ما ورد عن الحوري البردوط وحقوقه في ص ٣٣٥ وما يليها من المجمع اللبناني

(٣) انتهى بتصرف عن التاريخ الكنائسي الذي مر وصفه في المشرق (٧٨٦:٤ - ٧٨٧)

وفي سنة ١٧١٧ نازع البعض كهنة الموارنة في توزيع الاسرار المقدسة على الطوائف المسيحية كالافرنج والسرمان والملكية والارمن والكلدان (١) مدعين بان هذا الامر منوط بالمسلمين فقط. فرفع الحوري بطرس الدعوى الى المجمع القدس فعكم بعد التروى بالحق للموارنة وكتب الى منازعهم بالألا يتعرضوا لكهنة الموارنة في ذلك اصلاً (٢)

ولما كانت سنة ١٧٢٠ ارتد الارمن في حلب الى الايمان الكاثوليكي (٣) بهتة الوردتيت ابراهيم اول بطاركتهم الكاثوليكين (٤) فوق الحوري بطرس في كنبه الارمن ورفع الادعية الحارة في دفع شأن بيعة الله الكاثوليكية وسائر رؤسائها العظام.... (انتهى بحرفه الواحد عن التاريخ الكنسي)

وفي عام ١٧٢٤ قدم الشهاب الطران جبرائيل حواء القاصد الرسولي ترويحاً للنفس ومشاهدة لآله (٥) فاخذ يتعاطى بعض الشؤون الطائفية كجمع العشور ومنع الاعتراف بالبيوت الى غير ذلك مما ليس من شأنه تعاطيه بل من شأن اسقف الابشية (٦)

(١) راجع ما ورد عن كلدان حلب في ص ٦٥٥ من سنة المشرق الحاربه
(٢) انظر ايضاً رسالة القس اسطفان ورد الحلبي ص ٨٤٣ من تاريخ الكنيسة اللاربية الانطاكية للحوري الفاضل ميخائيل غبريل الشابي

(٣) يستفاد من المشرق الاغر (٣: ٥٢) ان هؤلاء الارمن كانوا قبل ذلك المهد كاثوليكين. والصحيح ما اوردها قال صاحب التاريخ: «ان رؤساء الارمن والسرمان كانوا اراطقه (في مطلع القرن الثامن عشر) وكانوا يثيرون الاضطهاد على طائفتنا وطائفة الروم» وقال في عمل آخر: «ان ابراهيم الوردتيت ابتدأ في اول سنة ١٧٢٠ يتبع حتى يرد الارمن الى الاعتقاد القويم. فوقته الله الى نيل مناه في شهر نيسان من السنة المذكورة فكان لذلك احتفال عظيم لم يسبق له شيل في الشهاب». وكتب التاريخ ثقة لانه معاصر

(قلنا): ان حضرة الاب منس ليس بمصيب في هذا الامر لان لدينا عدة رسائل كتبها الرسلون من حلب قبل سنة ١٧٢٠ بزمان طويل تبين صريحاً رجوع قوم من الارمن الى حجر الكنيسة. فان ارتداد الروم واليعاقبة والارمن في الشهاب كان ابتدأ منذ القرن السابع عشر بيد احم تردد في ايمانهم (المشرق)

(٤) طالع ما جاء من ترجمته في المشرق (٣: ٥٢)

(٥) رويانا ذلك ايضاً في المشرق (٥: ٧٨٨)

(٦) هذا ما قاله صاحب الترجمة في مجموعة دعوى السيد حواء

فعارضه في الصحيح الحوري بطرس مبتدأ له عدم صلاحيته لمثل تلك الامور واسند معارضته الى الجمع التريديتي القائل: « بان ليس المطران ان يتصرف في رعية مطران آخر (١) فكان هذا القيل والقال مجلبة لشغب ممتد الصدى

وزاد ابو موسان احد الوجهاء المفسدين في طين الامر بلة بان عاكس المطران المذكور اشد المعاكسة حتى حمله في سنة ١٧٢٥ على ان يزايل الشهباء مهاناً فازداد الشغب احتداماً حتى انشطرت الطائفة شطرين متباينين يدافع الواحد ما يريده الآخر ولم يستطع احد من اصلاح الفاسد سوى السيد العلامة جوما نس فرحات الذي ارتقى اذ ذاك الى اسقية الشهباء.

وقد قامت قيامة خصوم الحوري عليه مدعين انه كان يعضد اباموسان السابق في ابعاد ابن الحواء في حين ان الدلائل متظاهرة متضافرة على انه لم يشايعه في ذلك العمل الفظيع. منها ان المرسلين أيدوا جانب الحوري ولم يذمّوه بته. ومنها ان البطريرك لما طلبه الى لبنان لتحقيق الامر هبت وجوه الطائفة للدفاع عنه واقناع البطريرك بانه لم يكن له ضلع في ابعاد المطران اصلاً

بيد ان خصماء الحوري ما برحوا يقلقون حتى تمكنوا من ان يحطّوه عن الرئاسة في ١١ أيار سنة ١٧٢٥ باوامر البطريرك يعقوب عواد الذي استدعاه اليه ليبر نفسه بما أتهم به في الدعوى السابق ذكرها ونأسف لاننا لم نقب على وقت عودته الى الشهباء وما كان من امره في لبنان. (انتهى عن التاريخ الكنسي بتصرف وتصحيح وزيادة عليه)

وعندما قدم حلب استقفا الجديد السيد جوما نس فرحات اعاد الى استاذة التولي الرئاسة على الكهنة واعاد عليه ما اقصاه حساده من الكرامة والجلالة في عين الشعب فزاد الحوري بطرس همّة في اخلاص الخدمة وضاعف اجتهاده في مواصلة اعماله الخطيرة بكل اقبال. ولا شك ان هذا من الادلة المبرنة ساحتها حيث لو كان مدعى خصومه

(١) انظر مثلاً ج ٦ ب ٥ في الاصلاح. (قلنا) قد فات صاحب الترجمة ان السيد حواء مسند معاطيات الى قصاده الرسولية المصادق عليها من البطريرك يعقوب عواد واساقفته في اصلاح احوال الطائفة على ما قال صاحب التاريخ الكنسي والله اعلم

لما كان السيد المذكور جدّد له الكرامة لما هو مشهور عنه من انه لا يتغاضى عن مثل هذه الامور العظيمة

*

مذ قدم الحوري بطرس الى حلب الشهباء رُزِقَ من الاقبال عليه ما زاد فيه المهنة والعناية في اتيان الاعمال الباهرة وابداء الفضائل السامية واطهار العلوم الواسعة حتى لم يتخلف كبير او صغير من سائر المذاهب والطبقات عن اعتباره واجلاله فسار ذكره مع الركبان واصبح ممّن يشار اليهم بالبنان

فتولّى تدريس اللغتين الايطالية واللاتينية في الكتاب الماروني فاحسن فيه التعليم والتوقيف واجاد في الالتقاء والتثقيف فاصاب بعض تلاميذه السهم الفائق بهاتين اللغتين وعُرفوا في زمانهم بمعرفة آدابهما الجمية

وتتلخّذ له جماعة في العلوم العالية سادوا وافادوا منهم المطران جرمانس فرحات والمطران عبد الله قرألي والمطران جبرائيل حوّاء والقس عبد المسيح لبيان والقس عطا الله زنده (١) والحوري نيقولاوس الصانع والشماس عبد الله زاخر والشماس مكردنج الكسيح وغيرهم كثيرون من كبار العلماء ومشاهير الرجال الذين تركوا بعدهم التأليف العديدة النفيسة في الدين والدنيا

ثم جعله السيد جرمانس من اعضاء مجلسه العلمي فنشط الى التأليف في المنطق والخطابة والفلسفة واللاهوت والطبيعات والاهليات وما شاكلها من العلوم العالية التي انالته من بعد الشهرة ما ازلته منزلة جهابذة العلماء من الطبقة الاولى

وحسبك من افتتان الناس به على اختلاف طوائفهم وطبقاتهم انهم تواصفوه بالادواف العديدة وتناعتوه بالنعوت السامية ولقبوه بالألقاب الفخيمة « كالفيلسوف الكامل والعلامة الفاضل وامام الخطباء وقدوة العلماء وكوكب الشرق وقبة الحكمة وقطب الفلاسفة وعمدة اللاهوتيين ومعدن البراهين المنطقية وكثر العلوم اللاهوتية وشمس الامصار الشرقية وشهاب الملة المارونية » الى غير ذلك ممّا انفرد به عن النظراء

(١) في مكتبتنا الشرقية كتاب في المنطق كتبه الشماس بطرس بن جبرائيل زنده في حلب سنة ١٧١٠ يقول في آخره انه « تعلّمه على يد المعلم اللاهوتي الفيلسوف الشهير في علم الاب الفاضل الحوري بطرس الكاروز (التولي) » (المشرق)

والاشباه. وكل هذه الألقاب او النعوت تراها في التاريخ الكنسي وفي مختصر تاريخ لبنان وفي نسخة من تعريب الجمع التريديتي وغيرها
اماً تركته العلمية الجليلة فهي عبارة عن سلسلة تأليف متتابعة متناسقة تحوي اوابد العلوم العالية وشواردها. قال العالم الفاضل الحوري جرجس شلحت الحلبي: « ان العلامة الحوري بطرس التولي الماروني قد ألف كتباً متتابعة في كل ابواب الفلسفة واللاهوت » ولا غرو فان من تتبّع الفيلسوف التولي يراه في تأليفه يأتي على الایساغوجي فالمنطق فالفلسفة الادبية فاللاهوت النظري فعلم الطبيعيات فعلم الالهيات وكل ذلك في كتب منظوية على البجاث مفضلة الى فصول عديدة

وهالك اسما. تأليفه كما رأيناها: ١ غراماطيق سرياني = ٢ مجموع الجامع المارونية القديمة = ٣ مجموعة دعوى المرسلين = ٤ مجموع دعوى السيد حواء = ٥ سيرة ماري توما الكميسي = ٦ خبرية الجمع التريديتي = ٧ رسالة في عبادة الوردية = ٨ رد على قضايا الروم الخمسة = ٩ ترجمة تأملات ماري توما الكميسي = ١٠ تعريب الجمع التريديتي = ١١ مرآة النفس في الرياضة الروحية = ١٢ تأملات على مدار أيام الاسبوع = ١٣ تأملات على مدار أيام الشهر = ١٤ كتاب علم ما بعد الطبيعة = ١٥ كتاب الفلسفة الادبية = ١٦ كتاب الالهيات في ثلثي مقالات = ١٧ كتاب مواظبة في جزئين = ١٨ كتاب المنطق في جزئين = ١٩ كتاب الفلسفة في مجلدين = ٢٠ كتاب الطبيعيات في ثلاث مجلدات = ٢١ كتاب اللاهوت في خمس مجلدات (١). هذا ما وقفنا عليه من تأليف العلامة التولي فاوردناها كما رأيناها متفرقة لا اجزاء متتابعة كما ألفها لأننا لم نر نسخة كاملة من بعض تأليفه الجزئية مع كل البحث الذي تحريته. ولعله يوجد له غيرها من التأليف التي حجبها عنا قدم الزمان

*

اماً غيرته على الدين فعظيمة بذل جهد الطاقة في نشر الايمان الكاثوليكي في حلب الشهباء فهدى اليه الكثيرين وقد ذكر احد معاصريه وهو الحوري يوسف مارون الدويهي أن من جملة الذين هداهم الحوري نيقولاوس الصانع والشماس عبد

(١) غالب هذه التأليف مصصح بقلم السيد جرمانس فرحات

(٢) راجعنا كثير من تأليفه في مكتبة الحوري العلامة جرجس شلحت السابق الذكر

الله زاهر (١) وهو كذلك الذي ردَّ الشمس مكرديج الكسيح وغيرهم
 وأما تواضعه فكان عميقاً جداً ومما ينقل عنه بالتواتر ان المطران فرحات كان حرم
 على الكهنة التدخين بالغاليون تحت طائلة الربط لاسباب مشروعة فاذا كان الحوري
 في زيارة احد الوجها حملهُ على التدخين بالرغم عن مقاومته الشديدة فما كان غير قليل
 حتى غي الخبر الى المطران وكان اشترع ان يتولى الشماس تهيئة معدّات التقديس فاي
 كاهن لم يَرَهَا يُعذّر مربوطاً. فلما قدم الحوري الشيخ في صباح اليوم التالي الى
 الكنيسة ليقيم الذبيحة الالهية لم يَرَ لوازم التقديس معدّة حسب العادة فدرى اذ ذاك
 بالامر فترّث الى ان خرج المطران بعد التقديس ينظر في امور الفقراء ويلطف ويلاتهم
 ويجبر انكسارهم ويعينهم في حاجاتهم حسب عادته المحمودة فخرج اليه الحوري وترامى
 عليه وهو يتمثل بقول داود النبي (مز ١٨: ١٧): «قد لصقت بالتراب نفسي فأحيني
 حسب كلمتك» فأنحنى عليه المطران بكل احترام وانفضّه بكل حنان ابوي وهو
 يردد قول احشورش الملك (استير ١٥: ١٣): «ما لك يا استير. انما الشريعة ليست
 عليك ولكن على العامة». فأكبر الناس تواضع الشيخ واعظموا حلم المطران وحنانه
 فأخلق بالمرؤوسين ان يقتدوا بهذه القدوة الصالحة وأحرّ بالروساء ان يتمثلوا بهذا المثال
 الجليل

أما منزلته من العلم وغزارة المعارف فجلية كل موضوع يُلقى اليه يدخل للبحث
 فيه كأنه صنع يديه فيأتي على اطرافه ويحيط بجميع اكنافه ويكشف ستر الغموض
 عنه فيظهر المستور منه واذا تكلم في فن من الفنون حكم فيه حكم الواضعين.
 وبالجملة ان ما آتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قدّر
 لغير مشاهير الرجال وليس في الامر مبالغة وذلك من فضله تعالى فيفضّه على عباده كما
 يشاء.

وأما اخلاقه فحلّمه عظيم يسع ما شاء الله ان يسع وسلامة القلب سائدة في صفاته
 وهو كريم يبذل ما بيده قوي الاعتماد على الله لا يبالي بما تأتي به صروف الدهر وهو
 قليل الحرص على الدنيا وحطامها بعيد من الغرور بخارافها ولوع بعظائم الامور عزوف
 عن صفارها وبالجملة فضله كعلمه والكمال لله وحده

واماً خلقه فالذي ذكره عنه معاصروه انه طويل في قامته وسط في بنيتِه اسمر في لونه عصبي في مزاجه جليل في المنظر بشوش عند اللقاء . والذي عرفناه من تأليفه انه كان متوقداً بالذكاء قوي الحجة فصيح اللسان حسن الحاضرة رحب الصدر ثبت الجنان صبوراً وقوراً مهيباً فاضلاً عالماً عاملاً فيلسوفاً كاملاً قد وافاه الله من كمال خلقه ما ينطبق على كمال خلقه فسبحان الله الخلاق الحكيم
وقد لقي ربّه سنة ١٧٤٥ (لا سنة ١٧٤٦ كما ورد في تنبيه فصل الخطاب المطبوع في مطبعة طاميش) تغمدّه الله برحمته ومثمه بنعيم جنّته

شيعة الرُكُوسِيَّة

نبذة للاب هنري لامنس السوي

كلّ من يطلع على مجلّة الشرق يمكنه ان يتحقّق ما لحضرة الاب انتاس الكرملي من سعة العلم في تعقّب المسائل العويصة المنوطة بتاريخ الشرق وأهمه ولغاته . فانه لا يكاد عدد من اعداد نشرتنا يخلو من شاهد جديد على الميثة وتوقّد ذهنه
ومأ ورد له في العدد ١٥ من المجلّة (ص ٥٧٤) شذرة عن الرُكُوسِيَّة عرفهم صاحب تاج العروس بقوله انهم " قوم لهم دين بين النصارى والصابئة " فأرتأى حضرته ان اصحاب هذه الشيعة انما هم نصارى بلاد كورس او قورس الذين ذكراهم في مقالتنا المعنونة بجغرافية سيرة القديس مارون . ثم ختم حضرة الكاتب البرز مستنصفاً همّة الباحثين ليواصلوا البحث في هذا الشأن . فتلبية لدعوته تولّينا تسطير هذه النبذة الوجيزة ليس لفصل الامر فصلاً باتاً بل حباً بمجاراة الباحثين لعلنا نساعد على حلّ المشكل بعض المساعدة

١

واوّل ما يعنّ لحاظنا ان الرُكُوسِيَّة غير نصارى قورس او رهبان تلك المقاطعة . وذلك ليس فقط لّا بين لفظيّ الرُكُوسِيَّة والقورسِيَّة من التباين اللغوي بل لعدم وجود حجج كافية لاثبات هذا الامر ولنا بالاحرى ما ينقضه
قلنا ليس من دليل يثبت راي حضرة الاب انتاس . لا دليل جغرافي ولا دليل